ستيفانو كياريني

ستيفانو: البعد الأخلاقي في الصحافة والسياسة

وسـيم دهمش*

حين جاء النبأُ الريّانُ منْ دَمكَ غطّانا الخجَلْ
حين قالوا: كانَت الغُرْبةُ والدّاءُ لَهُ زادًا وماءْ
نَحنُ غطّانا الخجَلْ
حينَ قالوا: كانَ يُعْطينا على جوعٍ، تَمَلْمَلْنا
وَغطّانا الخجَلْ[1]

هذه الأبيات هي مطلعُ المرثيّة التي نَعَتْ بها الشاعرةُ النابلسيةُ فدوى طوقان ابنَ مدينتها الفلسطيني وائل زعيْتر، الذي قتله الإسرائيليون في روما مساءَ جمعةٍ حزينةٍ عامَ ١٩٧٢. وبعد زهاء ربع قرن تردّدت الأبياتُ نفسُها في هذه المدينة، في كنيسة «سيدتنا في كوروموتو،» إبّانَ مراسم وداع الصحفي الإيطالي ستيفانو كياريني. لم يكن ذلك محضَ مصادفة: فمنَ المعروف أنّ ستيفانو كياريني رَبَطَ حياتَه المهنيةَ والسياسيةَ بقضايا التحرر الإنساني، متّخذًا من القضية الفلسطينية عنوانًا لها. وكان ستيفانو، الطالبُ الجامعيُّ، في بيته في روما، عندما جَذَبَ انتباهَه دويُّ الطلقات العشر التي أطلقها الإسرائيليون على وائل زعيتر. ثم سمع عويلَ سيّارات الشرطة التي توالت إلى ساحة «أنّيباليانو» القريبة، وما زال ذانك الدويُّ والعويلُ يرافقانه حتى مماته.

❖ ❖ ❖

لم يكن قد مرَّ أكثرُ من شهر على مذبحة ميونخْ الشهيرة. وكان الصراعُ بين الفلسطينيين والإسرائيليين قد اتّخذ منحًى جديدًا بعد مجزرة أيلول الأسود عامَ ١٩٧٠، إذ انتهجت الحكومةُ الإسرائيليةُ ـ في محاولةٍ لتسديد الضربة القاضية إلى الحركة الفلسطينية ـ سياسةَ قتل المثقّفين الملتزمين ممّن تتوخّى فيهم قدراتٍ ثقافيةً أو قياديةً. وقد شكّل قتلُ غسّان كنفاني في الحازمية (لبنان) عامَ ١٩٧٢، قبل مذبحة ميونخْ، مؤشّرًا على تلك التوجُّهات الإسرائيلية.

كانت الحيويةُ السياسية التي ميّزت الأوساطَ الطلاّبيةَ في المدارس الثانوية وفي الجامعات الإيطالية سمةً بارزةً من سمات المناخ الثقافي السائد في البلاد في تلك السنوات. وقد تَرَكتْ حركاتُ الاحتجاج الجماهيرية، التي سبق أنْ عمّت معظمَ بلاد العالم سنةَ ١٩٦٨، بصماتٍ واضحةً على المجتمعات التي أفرزتْها كمحصّلةٍ لتغيّراتٍ ثقافيةٍ أثّرتْ في البنية المجتمعية. في إيطاليا تحديدًا، كانت فعّاليةُ الحركة الشعبية وتأثيرُها الثقافي على المجتمع أشدَّ منها في باقي البلدان الأوروبية نتيجةً لتلاحم فئات واسعة من العمّال ـ وخصوصًا من قطاعَي الحديد والصناعات الميكانيكية ـ مع حركة الاحتجاج الطلاّبية. وقد أدّت الحركةُ الناجمةُ عن التطوّر الصناعي الكبير نتيجةً لإعادة التعمير بعد الحرب العالمية الثانية، ومن دون أن يرافقَ ذلك تحسنٌ موازٍ في

* ـ أستاذ الأدب العربي في جامعة كاليرَي، إيطاليا.

١ ـ فدوى طوقان، **ديوان فدوى طوقان** (بيروت: دار العودة، ٢٠٠٠)، ص ٦٠٧– ٦١١. القصيدة في مجموعة **على قمة الدنيا وحيدًا**، وتحمل العنوانَ نفسَه. انظر الترجمة الإيطالية في: AA.VV., **Palestina. Poesie** (Palermo, Ila Palma, 1982), pp.161-162.

صورة تذكارية للوفد الإيطالي لدى وصوله إلى مطار بيروت أيلول عام ٢٠٠١ للمشاركة في إحياء ذكرى مجزرة مخيميْ صبرا وشاتيلا (ويبدو ستيفانو جالسًا إلى اليسار)، وتبدو ستيفانيا ليميتي بين الواقفين في الوسط، إلى يسارها ساندرو كاسيلني، وإلى أقصى اليسار كارلو يونا.

الأحوال المعيشية للطبقة العاملة، إلى الإضرابات العمّالية الكبرى في خريف ١٩٦٨، وهي إضراباتٌ تلت احتلالَ المجموعات الطلّابية لأكثر المعاهد الجامعية وللعديد من المدارس الثانوية في مختلف أنحاء البلاد في ربيع العام نفسِه.

تزامَنَ صعودُ حركة الاحتجاج الطلّابية والعمّالية واتّساعُ رقعة فعلِ اليسار الأوروبي الجديد مع نموّ الحركة السياسية الفلسطينية المسلّحة. هكذا جاء التضامنُ مع النضال التحرُّري الوطني للفيتناميين والفلسطينيين في الأوساط الطلّابية والعمّالية بمثابة امتدادٍ طبيعيّ لمطالب الحركة بالحقّ في التعلُّم والعمل والانعتاق الاجتماعي. في الجامعات التي يحتلّها الطلّابُ كانت تقام كلَّ يوم تقريبًا الندواتُ والاجتماعاتُ التي تَشْحن الجوَّ بحيوية ثقافية وسياسية لا نظير لها أدَّت إلى نشوء منظماتٍ ما سُمِّيَ بـ «اليسار الجديد.» كما ظهرت العشراتُ، بل المئاتُ، من المجلّات والمنشورات التي ساهمتْ بدورها في إحداث انقلابٍ فكريّ في مجالات الأدب والفنون والمفاهيم الفلسفية غَيَّرَ الوجهَ السياسي والثقافي للبلاد. وفي هذا الجوّ الحميم الذي انحسر فيه ضغطُ المؤسّسة المحافظ، وتراجَعَ الحضورُ التقليدي لمنظّمات الشبيبة اليمينية والفاشية، ازداد تأثيرُ الأفكار الجديدة، ولم يعد يقتصر على الطبقات العاملة وأوساط المثقفين المتنوّرين، بل امتدّ ليشملَ الأوساطَ الكاثوليكيةَ التي بدأتْ أطرافُها المهتمّةُ بالمسائل الاجتماعية بإعادة النظر في مواقفها السياسية حيال العديد من القضايا الدولية.

في تلك السنوات كان الطالب ستيفانو كياريني يشارك المجموعات الطلابيةَ اليساريةَ نشاطاتِها، إلى جانب التزامه بجمعيةٍ ذاتِ طابعٍ نقابيّ تُدعى «الجمعية المسيحية للعمّال الإيطاليين،» واسمُها يدلّ عليها: فقد كانت، وما تزال، واحدةً من كبريات منظّمات العمّال الكاثوليكية. وفي أوساطها وأوساط مثيلاتها بدأتْ تتبلور، في مطلع الأعوام السبعين، أفكارُ مَنْ أُطلقتْ عليهم فيما بعد تسميةُ «الكاثو ـ شيوعيين.»

خلال سنوات المدرسة كان ستيفانو ذو التربية الكاثوليكية قد بدأ يعمل متطوّعًا في جمعية «الصليب الأحمر الإيطالي،» واضعًا نصبَ عينيه دراسةَ الطبِّ رغبةً منه في مساعدة المرضى والمحتاجين. وفي الحيّ الذي وُلد وترعرع فيه، كانت مدرسة «جوليو تشزَره» الثانوية التي دَرَسَ فيها ستيفانو أكثرَ ثانويّات روما مسرحًا لتسلُّط منظّمات الشبيبة الفاشية وعنفها. وهناك تعلَّم ستيفانو الدفاعَ عن أفكاره وعن رفاقه. ذلك كان هو المناخَ الثقافي السياسي الذي ترعرع فيه ستيفانو كياريني، وقاده فيما بعد إلى الانضمام إلى جماعة **المانيفستو**.

و**المانيفستو** ليست جريدةً يوميةً فحسب، بل هي أولاً مجموعةٌ سياسيةٌ لها تاريخُها وتوجُّهاتُها الفكرية. وقد صدر العدد الأول منها، كمجلة فكرية للحزب الشيوعي الإيطالي، في حزيران ١٩٦٩. ولكنْ سرعان ما اتَّخذتْ مواقفَ سياسيةً بعيدةً عن التوجُّهات الحزبية عقب اجتياح القوّات السوفيتية لتشيكوسلوفاكيا: فقد تفاقَمَ خلافُ محرِّري المجلّة مع قيادة الحزب حول المسألة التشيكية، فعمدت القيادة إلى فصل ثلاثة

من القائمين عليها من الحزب وإبعاد أربعة آخرين. وكان ثلاثةٌ من المبعَدين نوّابًا في البرلمان، فشكّلوا مجموعةً مستقلةً التحق بها نائبان آخران. ثم عاود محرِّرو المجلة إصدارَها بشكل مستقلّ في أيلول سنة ١٩٧٠. وتركّز النقاشُ في تلك الحقبة حول مسألة الديمقراطية في النظام الاشتراكي، وضرورة استقلال الأحزاب الشيوعية في أوروبا الغربية عن الاتحاد السوفيتي. ووقفت المجلةُ إلى جانب الحركة الطلاّبية والعمّالية المناضلة من أجل اكتساب حيّز أكبر من الحقوق الاقتصادية والسياسية. وقد حاولتْ جماعةُ **المانيفستو**، التي أصبح لها نفوذٌ سياسيٌّ في أوساط حركة الاحتجاج الجماهيرية، تشكيلَ حزبٍ سياسي إلى اليسار من الحزب الشيوعي الإيطالي، فعقدتْ لهذا الغرض مؤتمرًا بالاشتراك مع إحدى مجموعات اليسار الجديد في مطلع عام ١٩٧١. لكنَّ هذه المحاولة الأولى باءت بالفشل.

أدَّت حركةُ عام ١٩٦٨، فيما أدَّت إليه، إلى تعجيل المخاض المجتمعي الذي أفضى إلى صدام بين الفئات الطلاّبية والعمّالية الشابة والأحزاب اليسارية والنقابات، التي اتَّهمها الشبابُ اليساريُّ الجديد بعدم القيام بدورها في الدفاع عن مصالح الطبقة العاملة وبمهادنة الدولة البرجوازية. وبلغ هذا الصدامُ درجةً عاليةً من الحدّة عامَ ١٩٧٧، عندما مَنَعَ طلاّبُ جامعة روما زعيمَ أكبر النقابات العمّالية الإيطالية من إلقاء كلمة في الجامعة.

في هذا الجوِّ الجامعي في روما خلال السنوات الأولى التي قضاها ستيفانو في كليّة الطبّ في مطلع السبعينيات، كان هذا الشابُّ يشارك مجموعة **المانيفستو** نشاطَها السياسي: فكان عضوًا فاعلاً في اللجان الطلاّبية العمّالية المطالبة بتحسين الظروف الصحّية في المعامل، وكان دومًا في طليعة المظاهرات، وتعرَّض لهراوات رجال الشرطة غيرَ مَرَّةٍ حتى أُدخل المستشفى في إحداها. بل دفعه التزامُه السياسي ونشاطُه المتزايد في صفوف الحركة الطلاّبية العمّالية إلى التخلّي عن دراسة الطبّ والتحوُّل إلى دراسة العلوم السياسية، بعد أن وَضَعَ نصبَ عينيه الدفاعَ عن قضايا المظلومين عبر العمل الصحفي، وحدَّد في **المانيفستو** وسيلةً فعّالةً لبلوغ هدفه. وفي تلك السنوات بدأ بالتردُّد على إيرلندا والتعرُّفِ على الأوضاع الإيرلندية ودراستها.

كانت مجلة **المانيفستو** قد تحولتْ إلى جريدة يومية، صَدَرَ عددُها الأول في ٢٨ نيسان ١٩٧١، وأصبحتْ في وقت قصير حالةً فريدةً في المشهد الصحفي الأوروبي لكونها الجريدةَ اليوميةَ الوحيدةَ التي يَمْلكها محرِّروها الذين شكّلوا جمعيةً تعاونيةً لإصدارها. ويمكن القولُ، من دون مبالغة، إنَّها الجريدة الوحيدة المستقلّة تمامَ الاستقلال: فليس لها مالكٌ، سواء كان فردًا أو شركةً أو حزبًا أو هيئةً عامة، بل هي تعبِّر عن آراء محرِّريها لا غير. وقد تتباين هذه الآراءُ، لكنّها تحظى بالمجال المناسب على قدم المساواة.

في نهاية السبعينيات بدأ ستيفانو كياريني يراسل صحيفة **المانيفستو** من إنكلترا، حيث كان يدرس اللغةَ الإنجليزية، وكان الصراعُ في شمال إيرلندا على أشدِّه. ولم تقتصر تقاريرُه الصحفيةُ على نقل الأحداث، بل كانت تبحث في تاريخ النضال الإيرلندي ومسبِّباته. لم يتّخذ ستيفانو كياريني من الصحافة مهنةً يرتزق منها فحسب، بل ارتبط عملُه الصحفي أيضًا بالتزامه المعنوي والسياسي بهموم الضعفاء وبقضايا التحرُّر والتنديد بالظلم أينما وُجِد.

اتَّخذت الجريدةُ منذ نشوئها موقفًا مؤيِّدًا لحقوق الشعب الفلسطيني، ونشرت العديدَ من المقالات والتحقيقات حول الأوضاع الفلسطينية، كما استضافت عددًا كبيرًا من مقالات كتَبَها فلسطينيُّون. لكنَّ هذا لا يعني انعدامَ تباين في وجهات النظر حيال المسألة: فقد اتَّسمتْ مواقفُ بعض مؤسّسي الجريدة بالرويّة، قياسًا إلى مواقف الصحفيين الشباب من أمثال ستيفانو كياريني. وقد ارتسمتْ معالمُ هذا التباين إبّان الغزو الإسرائيلي للبنان عامَ ١٩٨٢، إذ بدأتْ تَظْهر بين آونة وأخرى مقالاتٌ تذكّر بمآسي اليهود إلى جانب مقالات المحرِّرين والمراسلين الشباب التي تروي معاناةَ الفلسطينيين. هكذا نشأ في الجريدة في الثمانينيات تفاوتٌ تَمثَّلَ في تيارَيْن: تيّارٍ خجولٍ يؤيِّد الحقوقَ الفلسطينية من دون تعريفها، أو يأخذ بتعريف منظمة التحرير الفلسطينية الذي أصبح يَقْصرها على حقّ الفلسطينيين في إقامة دولة لهم، ولا يتعرّض لإسرائيل إلاّ على استحياء...؛ وتيّارٍ يؤيِّد الحقوقَ الفلسطينية باعتبارها غيرَ قابلةٍ للتصرُّف، وقد كان هذا التيار هو دومًا الأرجح بين محرِّري الجريدة. تطوَّر التيّار الأول «المعتدل» في التسعينيات، وأضحى يؤيِّد مقولةَ «دولتين لشعبين،» أي القبول بوهم الحلّ الصهيوني لأزمة الشرق الأوسط. غنيٌّ عن القول إنَّ ستيفانو كياريني مَثَّل التيّارَ الأرجحَ والمعادي للصهيونية، وتكرّرتْ رحلاتُه إلى المشرق العربي، وخصوصًا إلى بلاد الشام والعراق، حيث كانت مراسلاتُه تعطي القارئَ صورةً موضوعيةً عمّا يجري في تلك البلاد، بعيدةً كلَّ البعد عن القوالب الجاهزة عن العرب والمسلمين التي يصوغها محيطُ العمل كي يستعملها الصحفيُّون المطيعون وقتَ الحاجة.

مثَّل ستيفانو كياريني الصحفيين المستقلّين خيرَ تمثيل عندما بقي في بغداد بعد بدء الهجوم الأمريكي عليها في كانون الثاني عام ١٩٩١، واستمرّ في القيام بعمله طيلة أسابيع الحرب. كان

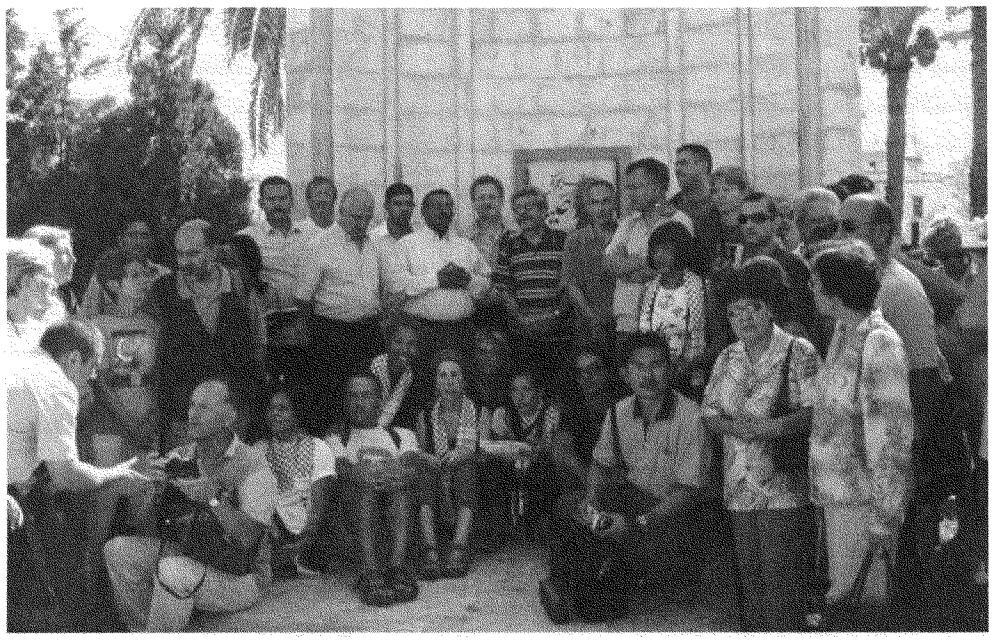

النائب اللبناني أسامة سعد (بالقميص الأبيض) متوسّطًا أعضاء الوفد الدولي الذي يزور لبنان في أيلول ٢٠٠٥ للمشاركة في إحياء ذكرى مجزرة مخيميْ صبرا وشاتيلا، ذلك أثناء زيارتهم نصبَ الشهداء في مدينة صيدا. ويبدو رئيسُ الوفد الإيطالي ستيفانو كياريني، والماليزي فؤاد حسن، والإسباني تورلز البيرتو، والفلسطيني بسّام صالح.

ستيفانو كياريني الصحفيَّ الغربيَّ الوحيدَ هناك، بالإضافة إلى بيتر آرنت مراسلِ «سي. ان. ان» الذي كان ينقل ما يدور في العراق إبّان الحرب. وكانت مراسلاتُه المصدرَ الرئيسيَّ للمعلومات في تلك الأيام. واستمرَّ كياريني خلال سنيّ الحصار التي تلت الحربَ الأميركيةَ الأولى في المشرق العربي بالتردُّد على العراق، ونَقْلِ أخباره، وسردِ ما يعانيه العراقيون نتيجةً للحصار المفروض عليهم. كانت مقالاتُه تنديدًا صريحًا بالمحرقة الأمريكية لأطفال العراق، وتعريةً للمناورات السياسية التي مَهّدتْ للحرب الأمريكية الثانية، وكشفًا للقوالب الدعائية الجاهزة التي تُستخدَم ضدّ هذا البلد أو ذاك تبعًا لحاجات السوق السياسية الأميركية الإسرائيلية.

❖ ❖ ❖

في العقدين الأخيرين مَسَّتِ الحاجةُ إلى قولبة المعلومات لاستخدامها في الحملات الإعلامية اللازمة لتحضير الناخبين في الغرب لتقبُّل الحملات العسكرية التالية. وازداد، من الناحية الأخرى، المجهودُ الثقافي ومجهودُ التوعية التي يضطلع بهما معارضو مشاريع الهيمنة الإمبريالية على العالم. ومن هذا المنطلق وُلدتْ لدى ستيفانو كياريني فكرةُ إنشاء دارٍ للنشر تكوّن ملتقًى لنقاشٍ ثقافيّ سياسيّ، وتَفْتح مجالاً للدراسات والأفكار الكفيلة باستكشاف أبعاد الأزمات الدولية والبحث في مسبِّباتها وتصوُّرِ منظورات النضال التحرُّري في شتّى الآفاق. وبعد أن عاد ستيفانو من العراق في نهاية الحرب بدأ، بمساعدة زوجته، العملَ على إنشاء دار «غامبيريتّي،» التي ظهرتْ إلى حيِّز الوجود في ربيع عام ١٩٩٢، وحازت في وقت قصير اهتمامًا واسعًا في محيط المختصّين في مجالات عديدة والقرّاء الواعين بشكلٍ أعمّ.

لا يتّسع المجالُ هنا إلا لإشارة عجولة إلى إصدارات دار «غامبيريتّي» الغنية، وهي تعكس اهتمامات مُنْشِئها وصاحبها المتعدِّدة. فقد نَشرت الدارُ عشراتٍ من الدراسات القيِّمة في مختلف المواضيع، وأُشيرُ أولاً إلى مجموعة من الكتب حول المسألة الإيرلندية (فقد كانت إيرلندا، إبّان الحرب، المحطّةَ الأولى لعمل ستيفانو الصحفي). وإنّ أسماءَ الكتّاب وعناوينَ كتبهم كافيةٌ لفهم التوجُّه الثقافي لدى ستيفانو ولسبر اختيارات دار غامبيريتّي، وأَخُصُّ بالذِّكر ثلاثةَ نصوصٍ لزعيم الحركة الجمهورية الإيرلندية جيري آدامز أوَّلُها عنوانُه: **ما قبل الفجر: سيرة زعيم حركة التحرير الإيرلندية**،[١] وفيه يروي الكاتبُ كما يقول الغلافُ «قصةَ حياته منذ طفولته في الأحياء ـ

١ ـ G. Adams, **Prima dell'alba. Autobiografia del leader del movimento di liberazione irlandese** (Roma: Gamberetti, 1999).

وهو ترجمةٌ لكتاب:

G. Adams, **Before the Dawn: An Autiobiography** (London: Heinemann, 1996).

الغيتوات الوطنية الكاثوليكية في بلفاست،» مرورًا بتجربة المعتقلات، ووصولاً إلى بدء المفاوضات مع الحكومة البريطانية. عنوانا الكتابين الآخريْن معبِّران عن مضمونيْهما خيرَ تعبير: **من أجل إيرلندة حرَّة: تاريخ الحركة الجمهورية الإيرلندية واستراتيجيتها**،[1] و**شوارع بلفاست: قصص من الحياة اليومية على خلفيَّة النضال التحرُّري الإيرلندي**.[2]

ولا بدّ من الإشارة إلى أنَّ أوَّل كتاب أصدرتْه دارُ غامبيريتّي كان للصحفية الإيطالية ريتا ـ پورينا[3] التي عايشت الحربَ الإسرائيلية ضدّ لبنان سنة ١٩٨٢ منذ بدايتها وحتى احتلال بيروت. وقد روى الكتابُ بموضوعية ما جرى إبَّان الحرب الإسرائيلية على لبنان. وخلافًا للتحقيقات الأخرى التي روت الأحداثَ السياسية أو اقتصرتْ على رواية مذبحتَي صبرا وشاتيلا، تناول الكتابُ الوجهَ الآخرَ للحرب، مستعرضًا ما كان يجري على صعيد الحياة اليومية في بيروت خلال الأيام الأخيرة للحصار الإسرائيلي. وحول المجزرة البيروتية نشرتْ غامبيريتّي أيضًا الترجمةَ الإيطاليةَ لنصِّ جان جينيه المعروف، **أربع ساعات في شاتيلا**،[4] في كتيِّبٍ أنيقٍ لاقى رواجًا كبيرًا.

لم تكتفِ دار غامبيريتّي بنشر كُتب تروي أحداث الثورات العالمية وتؤرِّخ لها، بل أصدرتْ بصددها العديدَ من الدراسات القيّمة، منها كتابُ إدوارد سعيد الشهير: **المسألة الفلسطينية**.[5] والكتاب، كما هو معروف، دراسةٌ هامةٌ تتناول، في معرض سردها لتاريخ التراكم السياسي المتعلّق بأرض فلسطين، الجذورَ الفكريةَ البعيدةَ التي أسَّستْ لنشوء المسألة الفلسطينية. وقد أضاف إدوارد سعيد إلى الطبعة الإيطالية فصلاً جديدًا يؤرِّخ فيه أحداثَ السنوات التي تلت صدورَ الطبعة الأصلية باللغة الإنجليزية (١٩٧٩)، وهذا الفصل ـ كما أعلم ـ لم يُنشَر بعدُ إلاّ بالإيطالية (١٩٩٥). قام ستيفانو بترجمة الكتاب، بالاشتراك مع مترجمة محترفة، وهي ترجمةٌ على درجة عالية من الدقَّة، وتدلُّ على معرفة بموضوع النصِّ وحيثيَّاته وبالمسألة وملابساتها أكثرَ من دلالتها على المعارف اللغوية. كَتَبَ مقدمةَ الطبعة الإيطالية غويدو ڤالابريغا، وهو مؤرِّخٌ إيطالي شهير، من عائلة يهودية، معادٍ للصهيونية، ومتخصِّصٌ بدراستها. والمقدِّمة، في حدِّ ذاتها، دراسةٌ قيِّمةٌ في الفكر الصهيوني.

من مؤلَّفات إدوارد سعيد التي نَشَرتْ طبعتَها الإيطاليةَ دارُ غامبيريتّي مؤلَّفُه الكبير، **الثقافة والإمبريالية**،[6] وهو الكتاب الذي لا يستطيع أيُّ باحث في تاريخ الأدب أو في الأدب المقارن اليوم تجاهُلَه. تتَّصف الترجمةُ الإيطاليةُ للنصّ، الذي اضطلع بها أيضًا ستيفانو كياريني بالمشاركة مع مترجمة أُخرى، بوضوح العرض ودقَّة التعبير. وقد أتاحت لقرّاء الإيطالية الذين لا يَعْرفون لغاتٍ أُخرى الاطِّلاعَ على كتابٍ يُعدُّ من أمَّهات الكتب في النقد الأدبي المعاصر.

لم يتوانَ ستيفانو في نشره لكتبٍ تتناول المسألةَ الفلسطينيةَ عن تقديم أبحاث ذاتِ مواضيع شائكة على علاقةٍ بالصراع على فلسطين، مثل كتاب پاتريك سيل: **أبو نضال: بندقيةٌ للإيجار**[7]

---

١ ـ G. Adams, **Per una libera Irlanda. Storia e strategia del movimento repubblicano irlandese** (Roma: Gamberetti), 1994.

٢ ـ G. Adams, **Strade di Belfast. Storie di vita quotidiana sullo sfondo della lotta di liberazione irlandese** (Roma: Gamberetti, 1996)

وهو ترجمةٌ لكتاب:

G. Adams, **The Street and Other Stories** (Dublin: Brandon, 1992).

٣ ـ R. Porena, **Il giorno che a Beirut morirono i panda** (Roma: Gamberetti, 1992).

٤ ـ J. Genet, **Quattro ore a Chatila** (Roma: Gamberetti, 1993).

وهو ترجمة لمقال:

J. Genet, "Quatre heures à Chatila," **Revue d'Études Palestiniennes,** no. 6, hiver 1983, p. 3-20.

٥ ـ E. Said, **La Questione Palestinese. La tragedia di essere vittima delle vittime** (Roma: Gamberetti, 1995)

وهو ترجمةٌ لكتاب:

E. W. Said, **The Question of Palestine** (New York: Vintage, 1979).

٦ ـ E. Said, **Cultura e imperialismo. Letteratura e consenso nel progetto coloniale dell'Occidente** (Roma: Gamberetti, 1998).

وهو ترجمةٌ لكتاب:

E.. W. Said, **Culture and Imperialism** (New York: Knopf, 1993).

٧ ـ P. Seale, **Abu Nidal, una pistola in vendita. I mille volti del terrorismo internazionale** (Roma: Gamberetti, 1994).

وهو ترجمةٌ لكتاب:

P. Seale, **Abu Nidal: A Gun for Hire** (New York: Random House, 1992).

الذي يبحث في ملابسات الإرهاب الدولي. وهذا النوع من النصوص، الذي قد لا يُرضي الجهاتِ المتحكّمةَ بمجال بحثه لأنّه يحاول الكشفَ عن الغموض الذي يكتنف هذه المسائلَ، يَبقى عادةً في المحيط الضيّق للمختصّين، ونادرًا ما يتعدّاه إلى جمهور القرّاء الواسع.

كما يعود الفضلُ إلى ستيفانو كياريني في نشر العديد من النصوص الصعبة الانتشار. ومنها على سبيل المثال لا الحصر كتابُ پاتريك سيل، **أسدُ دمشق**،[1] الذي يتناول بالدراسة الأوضاعَ السياسيةَ السوريةَ في العقود الأخيرة من خلال سرد سيرة الرئيس السوري حافظ الأسد.

كان لبعض الكتب التي أصدرها ستيفانو صدًى جيّدٌ، بينما لم يحظَ غيرُها بالانتشار المنشود. فعلى سبيل المثال، عند البحث عن كتابَيْ إدوارد سعيد، اللذَيْن نشرتْهما دارُ غامبيريتّي في الفهرست الوطني للمكتبات العامّة الإيطالية، نجد كتاب **المسألة الفلسطينية** في مكتبة واحدة فقط في إحدى ضواحي روما، بينما نجد كتابه **الثقافة والإمبريالية** في سبع وسبعين مكتبة عامّة منتشرة في كلّ أنحاء إيطاليا، لكنّها تشكّل على كلّ حال لبناتٍ باقيةً في السدِّ الثقافي الذي تجب إقامتُه لمواجهة الفيضان الإعلامي لأرباب المال والسلاح.

❖ ❖ ❖

لم يقتصرْ نشاطُ ستيفانو على الكتابة والنشر، بل كان دائمَ الحضور في مختلف المبادرات المتّخَذة لنصرة الشعوب المناضلة من أجل حريتها. فكان يقيم الندوات، ويلقي المحاضرات في المدارس والجامعات، ويشارك في عمل مختلف الجمعيات. وقد ازداد نشاطُه بعد خبوِّ جذوة الانتفاضة، وتقلُّصِ التضامن مع الشعوب العربية، وتبعثُر الجمعيات القائمة به.

في جوِّ اليتم الذي خلّفتْه العمليةُ الانتحاريةُ التي نفّذها الزعماءُ الفلسطينيون في أوسلو، تداعى مَنْ تبقّى من مناصري قضية التحرُّر اللبناني والفلسطيني وأقاموا لجنةً لإحياء ذكرى ضحايا مذبحتَي صبرا وشاتيلا، فكان ستيفانو كياريني داعيتَها الأولَ ومحرّكَها الذي ما انفكّ يذكّر بمآسي اللبنانيين والفلسطينيين من على صفحات الجريدة ومن على كلّ منبرٍ يصل إليه. بدأت اللجنةُ منذ سنة ٢٠٠٠ بتنظيم رحلة إلى لبنان في شهر أيلول من كلّ عام لإحياء ذكرى صبرا وشاتيلا. وهكذا قضى ستيفانو كياريني في السنوات الستِّ الأخيرة من حياته عيدَ ميلاده في المخيمات الفلسطينية في بيروت (فهو من مواليد ١٧ أيلول ١٩٥١).

ولا بدَّ في نهاية هذا المقال، المُعَدِّ في الذكرى الأولى لرحيله، من ذكر دوره الهامّ في إنشاء «منتدى فلسطين» (www.forumpalestina.org)، وهو الملتقى الذي تداعت لإقامته في خريف سنة ٢٠٠١ الجمعياتُ واللجانُ المتعاطفة مع الشعوب العربية المناضلة من أجل استرداد حريتها واستقلالها. كان ستيفانو محرّكًا نشطًا لهذا الملتقى، ومن أبرز وجوهه. و«المنتدى» اليومَ محاولةٌ لتوحيد صفوف الجماعات الصغيرة المبعثرة وتعزيزِ دورها، وهو يقوم بتنظيم الندوات وتسيير المظاهرات لتأييد الحقوق المشروعة للشعوب المقهورة والتنديد بسياسة التبعية للحرب الأميركية الإسرائيلية. هذا وقد أعلن المنتدى سنةَ ٢٠٠٨ «سنةَ فلسطين في إيطاليا،» وسيقوم بالعديد من المبادرات، كان أوّلها ندوةٌ عُقدتْ في ٣ شباط في الذكرى الأولى لرحيل صديقنا العزيز ستيفانو كياريني.

إيطاليا

---

١ - P. Seale, **Il leone di Damasco. Viaggio nel pianeta Siria attraverso la biografia del presidente Hafez Assad** (Rome: Gamberetti, 1995).

وهو ترجمةٌ لكتاب:

P. Seale, **Asad of Syria. The Struggle for the Middle East** (London: 1998).